قصة علمية

بقلم: نهاد شريف

كانت القاعة تمتلئ عن آخرها .. تختنق بالضجيج والحركة والألوان .. وقد استشرى فيها الدفء، ولثقل رغم اكفهرار الجو وهطول المطر حتيا بالخارج ...

ومن خلال نغمات موسيقى بعيدة .. رتيبة الايقاع .. انبعثت ايضا موجات فوق صوتية غير مسموعة .. موجات تخاطب اللاوعى .. وعلى الفور استكانت الحركة وماتت الاصوات وشخصت أكثر من نصف مليون عين إلى الامام ..

عبر ممر جانبى انفلت بدن قصير يغطيه شعر أسود لامع .. سرعان ما دلف إلى منصورة معلمة تطل على الأعين المترقبة وتعلو قائلها قليلا .. وفا واجهة من بلور سميك .. وبينا قفز البدن القصير فى خفة فوق ما يشبه المقعدة .. اتضحت وراءه قامة رجل قارع يرتدى معطفا أبيض ويضع على أنفه عويذات نظر رقيقة .. وجمد البدن وتحول تمثالا داكنا نحو ثناياه وتخلط ..

وعلى عكسه راح الرجل القارع يتلفت حوله فى قلق .. وتحفز .. بدا كأنه يتفحص الوجوه قبل أن يلقى قنبلته فتصيب كل واحد منهم فى مقتل .. لكنه أطال صمته .. وأطال تعذيبهم .. ليشير فى بطء إلى البدن القصير ويهمس ..

وحملت آلاف الخلايا الباقة الحساسة همسه إلى كل إذن ..

« سادتى .. ما الذى تحفظونه عن أقوله لكم .. وقد غطت صحافتنا والصحافة العالمية الموقف تماما .. فأصبحتم تعرفون قصتنا .. تحفظونها وتلمون بكل ثناياها وتفاصيلها أجل .. لا أظن أن كبيرة أو صغيرة تخصها إلا وأنتم على بينة كاملة بها .. ولعل خير ما أفعله فى هذه اللحظة .. أن أتركك وإياها .. بطلة حقا .. بل بطلة هذا العام وبحمله بلا منازع ..

سادتى .. ها هى ذى « لولو » أول قردة ناطقة يعرفها تاريخنا البشرى .. تقف أمامكم لتوجهوا إليها مباشرة .. ما يعن لكم من أسئلة فتجيبكم بصوتها .. بكلماتها .. ودون أى تدخل منى أو من غيرى ..

وجلس الرجل وانكمش ..

وانهمر سيل الأسئلة ..

ليستجيب الصوت الحاد الرفيع الذبات .. وقد تسلل عبر طيات الشعر الأسود .. وعبر لافتات الصوت الدقيقة .. وعبر دهشة العقول وحيرتها .. فيروح يلقى إجاباته فى جمل متوترة بعض الشىء .. خجلة ومتلكئة لكنها محددة ومفهومة وبليغة ..

أنا قردة .. أتكلم ..

أنا أنثى .. اسمائى معلمى .. لولو ..

أنا كما يقول معلمى .. أول قردة تنطق .. كلمات الإنسان .. وتتفاهم بها .. معه ..

أنا لست حيوانا .. أنا كائن .. من سلالة لها نظمها وتقاليدها .. متلكم ..

وتتزايد الأسئلة وتلتهب .. وتجاهد الإجابات فى اللحاق بها « وأنا .. وأنا .. وأنا .. » فى حين ينجذب الرجل رويدا رويدا ليحلق إلى بعيد مع شحنة دافقة من ذكرياته ..

من أعماق الذاكرة برز ذلك اليوم الخالد .. أنه بالتأكيد أحد الأيام الأواخر من مارس عام ١٩٨٥ وخلال الشريط المتلاحق شاهد سيارته تطوى الطريق الأسفلتى الضيق حتى تلاح له فى نهاية زمن طويل المدى الواطئ، الشيد وسط الصحراء .. واستقبلته موجة بالغة السخونة وهو يغادر السيارة ويرتق الدرجات القليلة متعجلا .. لكن الخال تبدل فجأة ولوجه الجدران الرحبة لدار « المؤسسة المصرية لإنطاق الحيوان » .. بل نسى الحرارة ووطأتها وهو يقودونه إلى حيث صديقه العالم النفسانى رضا مهاب ..

فى ركن من العنبر المتسع ذى الجدران الوردية كان لقاءه الأول مع القردة الوديعة الوجه رغم قبحه وقد استكانت فوق مقعد حتى إلى جوار صديقه .. كما كان أول تعرفه على حقيقة أبحاث الصديق العالم فى مجالات إنطاق أقرب المخلوقات شبها بالإنسان ..

جاء .. جلس .. ثم سأله وهو يومىء إلى القردة ..

– من فصيلة الشمبانزى ؟

داعب الصديق العالم أذن القردة أجل .. أنثى شمبانزى ..

مد يده يريت بدوره على شعرها الزلق الملمس ..

– لطيفة ..

– اسمها « حمرة » .. وتبلغ من العمر ستة أعوام ..

تمتم وهو يغمز بعينه .. يبدو أن الموضوع الذى استدعيتنى من أجله سيكون شيقا ..

كانت اللحظة التى ينتظرها الصديق عالم النفس ليطلق العنان لكلماته ..

« لقد بدأت أبحاثى على القردة منذ نحو أربعة أعوام .. كانت أعواما شاقة .. لكنى حصلت خلالها على نتائج مشجعة .. لا بأس بها .. وفى البدء كان يتبدى سؤال « هل يمكن إنطاق الحيوان » .. فلما وجدت فى القردة قرب الشبه من البشر أصبح السؤال « هل تتكلم القردة مثلما يتكلم الإنسان » .. لكن متاعب الإخفاق التى واجهتنى طيلة هذه الأعوام غطت على تساؤلاتى السابقة بسؤال آخر أكثر إلحاحا .. فهل سرت حقا فى الطريق الصحيح منذ البداية ..

وأشار إلى القردة الساكنة .. تعرف .. حمرة هذه .. هى ثالثة القردة من فصيلة الشمبانزى .. التى أجرى عليها أبحاثى .. أولاها كانت أنثى « هدية » وثانيها الذكر « نبيه » وهما من قردة الشمبانزى كذلك .. وبينما جلست الأولى عددا محددا من الإشارات الصم فقد حفظ نبيه معظم إشاراتهم .. وقد استغلت فى تعليمها عكس ما استغله فى تعليم القردة حمرة ..

انه .. احساسهم المثير تجاه بنى جنسهم من الحيوان .. تصور .. لقد أشارت حمرة منذ أيام إلى قط يقف متربصا .. « بنائم قط » ..

فلما استفسرت منها عن سبب أنه اشارت .. « وحيد .. أين رفيقه » ..

عندئذ هتف الأول القادم عبر الصحراء ..

– عظيم .. أرى نتائج أبحاثك مشجعة ..

همس العالم رضا مهاب فى رجاء :

وفى يدك .. أن تسهم معنا فى الوصول إلى نجاح أكيد ..

امتزجت الدهشة بعدم الفهم عبر قسمات الأول .. أنا ؟

فى حين تابع العالم : إن جراحة الأعصاب تخصصك .. ولو بحثت فلن أجد اسما أجدر بالثقة من اسمك ..

الطبيب الجراح صلاح الدين عبد ربه .. ليجرى جراحة دقيقة فى مخ هذه القردة ..

فوجىء الطبيب فلم تسعفه الكلمات .. فقط ردد ..

– جراحة لقردة ؟

– وربما اثنين .. الأولى فى مخها .. والثانية فى الأوتار الصوتية بحنجرتها ..

●●●●

وضع الشريط الحافل لذكريات الطبيب صلاح الدين عبد ربه تابعت بقية أيام وشهر العام ١٩٨٥ .. شاهد نفسه وهو يجرى الجراحة الدقيقة خلال ساعات ست فى منطقة الكلام بمخ القردة الشمبانزى حمرة .. فيتزع ذلك الكبسولة المشعة وسط التعريج المخى الممتد فيما يحاذى أذنها اليسرى .. يتلوها بجراحة أخرى أقل مشقة فى أوتارها الصوتية ..

لم تأت النتيجة مبهرة .. وكان هذا متوقعا .. لكنه وصديقه عالم النفس لاحظا تجاوبا ملفتا على القردة .. فقد بدت أثناء جلسات تعليمها تظهر قدرا اسرع على الفهم واستيعاب الاشارات والتعبيرات الجديدة .. بل بدت فى مرات كثيرة .. وبينما هى تستمع إلى واحد من الشرائط الصوتية أو تنظر على الآلة الكاتبة الكهربائية مصدرة الكلمات المنطوقة .. بدت وكأنها تعانى نوعا من الصراع الداخلى .. كأنها تحاول عبثا أن تنطق شيئا .. تقذفه من بين اسنانها ..

وكانوا ما تفوهت بلا سبب ظاهر.. واسكتت جانبي رأسها بأصابعها الرفيعة وهزت عنقها في ضيق ونفاد صبر.. بل خيل إليها أنها أطلقت مرة أو مرتين نهنهات صوتية قاربت نهنهات صوت لطفل يطلب العون..

تلخص شريط الذكريات الغريب.. فالحق أيام العام الثاني ١٩٨٦.. لقد استقر رأي الطبيب صلاح أن يشترك لتدريب قردة الغوريلا بدلا من الشمبانزي.. ووافقت الفكرة لعالم النفس بعد أن اقتنع بها لتشريحيا.. فاختار أنثى غوريلا بلغت سنها الخامسة.. وأسماها «فيكي»..

عندئذ توقف شريط الذكريات لدى الأول من شهر مايو.. يوم اجرى الطبيب صلاح الجراحتين على مخ الغوريلا حيث زرع فيه كبسولة اشعاع أكثر.. كما أجرى تعديلا على أجزاء من أوتار حنجرتها.. وطور الثقافة من الجراحتين ارتفع معدل ذكاء الغوريلا فيكي فتعادى مستوى ذكاء طفل في العاشرة من عمره.. وبالتالي قدرت قدراتها بصورة مدهشة.. فاستطاعت لأول مرة – في تاريخ محاولات إنطاق القردة – ان تلفظ كلمات كاملة بلغة البشر.. صحيح كانت كلمات محددة.. واهنة.. لكن أمكن تمييزها وتفسيرها بسهولة وكان هذا أول نصر حقيق بجوزائه...

صحت القاعة بتصفيق حاد لا يدري سببه.. فتلفت حوله مبهورا.. كان الحفل الذي تقيمه مؤسسة إنطاق الحيوان بأحد الأن فروته.. ومندوبو الصحافة العالمية ووكالات الأنباء والمحافل والجمعيات العلمية ينقلون بآلاتهم تفاصيل الخبر المثير – عن طريق أسنار الليزر غير المرئية – إلى أركان وانحاء كوكب الأرض.. والى خارج كوكب الأرض...

لقد نطق اول مخلوق في مملكة الحيوان.. لقد نطقت قردة.. بكلمات ولغة البشر.. لكنه وجد الكل مشغولا بالكلام مع القردة والاستماع اليها.. فعاد يترك لنفسه الانسياق مرة اخرى مع شريط الذكريات.. عندئذ وبدقة تذكر بالاثارة برزت امام مخيلة الطبيب صلاح الدين عند ربه احداث ذلك اليوم الذي لا ينساه.. في سلسلة تجارب ومحاولات الأنطاق الحادة التي اصبح يشارك فيها بكل جوارحه.. العشرون من نوفمبر ١٩٨٦.. كان يوما مشهودا حقا..

على انه احب ان يبدأ الرؤية من أولها.. فتعمق في شريط الذكريات اسبوعين الى الوراء.. وكان يوم الرابع او الخامس من نوفمبر.. وعلى وجه الدقة كان يوما قارس البرد...

وهكذا فلدى وصوله في الصباح – وعلى خلاف العادة – وجد صديقه عالم النفس رضا مهاب يكاد يخبط داخل معطفه الثقيل.. وقد وقف يترقب قدومه امام بوابة المبنى الصحراوي...

ابتسم العالم منهللا: آه.. ها قد أقبلت اخيرا...

ثم اجتذبه من ذراعه واقتاده متمحلا الى الداخل وقد أوشك ان يجره جرا في حين اشرح له عن آخره...

– تعال.. عجل.. بسرعة اكثر فلدى ما أريه لك...

وترك الطبيب صلاح الدين قياده للبضة صديقه التي توجعه...

– ما كل هذه اللهفة على وجهك...

رد الآخر بستحث الخطى: عندي.. مفاجأة...

وبلغا حجرة العمل.. وفتح عالم النفس بابها وتنحى جانبا.. وحين ولج الطبيب الباب أطلقت على الرغم منه صيحة إعجاب: غوريلا.. غوريلا جديدة؟؟

– اجل انثى.. انها «لولو»... وقدمت من اندونيسيا وأهديت الينا منذ ليال اربع...

ولم يطق الطبيب صلاح الدين على كتم اعجابه وهو يتفحص القردة القابعة في سكينة.. وقد احدقت تراقبه بدورها من خلال عينين دعجاوين تختلطان بالدعة والبراءة...

– رائعة.. رائعة...

– والأروع ان اختبارات الذكاء دلت على تقدم مستواها العقلي.. انها لا تقل عن مستوى ذكاء صبي في الرابعة عشرة من عمره...

واقبل المساء ليجري الطبيب صلاح عبد ربه الجراحتين المعهودتين على القردة الغوريلا باهتمام كبيراستشده من حماس صديقه عالم النفس.. فما مر اسبوعان على الجراحتين.. واقبل يوم العشرين من نوفمبر.. فوجئ وصديقه بالقردة في اول درس لها تردد اولى الكلمات التي استوعبتها.. بنطق آدمي.. تماثل بنطق الانسان وبطابعه...

بل بدت القردة في صوتها ومخارج كلماتها وحتى بالانحناءات التي تصدر عن رأسها الضخم واصابعها العارية من الشعر وكأنها مخلوق بشري.. ارتدى لباس الشكر او تخفى تحت تلك الكساء الصادية من الشعر الفاحم القصير...

انا لولو...

قردة.. غوريلا.. غوريلا ذكية...

انـــا احب كـــل الحيوانات.. و.. الانسان...

وتمرور مزيد من الأيام اظهرت «لولو» الحميلة.. كما اطلق عليها كافة حبراء وموظفو دار الأنطاق قدرا اكبر من الفهم.. والذكاء.. والاستجابة.. وحلالا لسلوك من سلفوها فلم تلجأ الى الخداع او الكذب.. وان حلدت في احيان متقاربة الى الصمت والاكتئاب.. وربما تملكها الحزن الشديد حين تتعاطف مع حيوان آخر تحيله الى محة...

كل القرود السابقة فعلت ذلك من قبل.. لكن الغوريلا «لولو» بدت أكثرها اسرافا في مشاعرها واحاسيسها تجاه الكائنات الحية.. وخاصة الحيوان...

ذات يوم بلغ بها الهياج منتهاه.. حين نحت من نافذة حجرة العمل احد حراس الدار بقفل فارا جبليا محدسه فاندفعت تصيح وهي تطرق صدرها بكلتا قبضتيها في ضربات متلاحقة...

«فأر مات.. فأر مسكين.. مسكين...

واقترب عالم النفس يهدئ من لوعتها بالتربيت على ظهرها...

– بل الفأر حيوان ضار.. ولذلك اسكته الحارس ليتقي شره...

الا ان القردة قفزت بعيدا عن يده وغطت عينيها المليتين بالدموع...

«الحارس شرير... الفأر مات... مسكين...

وحين هدأت الغوريلا لولو في اليوم التالي فانها لم تكف عن القاء سيل من الأسئلة المتلاحقة...

«كيف.. اسكت الحارس.. الفأر؟؟

– تمدمه...

«على بعد؟؟

– المدس يطلق رصاصات تدفع فتصيب فعلا عن بعد...

«كيف.. كيف..؟؟

ولم تكف عن ترديد كلمتها حتى احضر لها الطبيب صلاح الدين مدس الحارس وحاول وعالم النفس ان يشرحا اجزاءه وكيفية عمله ثم تركاه قبالتها...

عندئذ اقتربت القردة منه.. لمست حوله مرتين.. وشمته.. ولن تردد لمسته.. ثم احدثت ثقبه بأصبع واحدة.. واخيرا حرفت فتاوته في راحتها.. لكن سرعان ما ألقت به بعيدا وهي تهمهم في حزن عميق...

«شرير حارس.. شرير حارس مدس...

ثم انتفضت وكأنها تنبهت لشيء غاب عنها قبلا...

«من الى.. تمدس؟؟

– الحارس...

«من اعطاه.. الحارس...

– رئيس هذه الدار...

«ومن اعطاه.. هذا...

– المصنع.. القصد تم شراؤه من المصنع...

«المصنع؟ ما المصنع؟؟

– انه مكان تصنع فيه المدسات.. وبقية الأسلحة والدخائر...

«من في.. المصنع.. من صاحبه؟؟

– بالطبع الانسان...

وتتوقف القردة عن القاء اسئلة اخرى.. وتصمت برهة.. قبل ان تنطق متدفعة كلمتين حافتين في كثير من اليأس...

«شرير انسان...

– لماذا؟

وتزيتك القردة.. يشملها القضاع للوان.. لكنها تتمالك نفسها فترفع اصبعا تهزها به خلف عنقها...

«ذكي انسان.. يعد.. اشياء.. كثيرة.. كثيرة.. يملأ بها الدنيا...

وكانت تكذب لأول مرة منذ قدومها...

وينضخم حصيلة معلومات الغوريلا «لولو الحميلة».. مع ازدياد ما تتلقاه من دروس وتدريبات.. ومن اشعاع ينسلل الى خلايا مخها فينشطها.. لم يعد المدس والحارس والانسان هم وحدهم الأشرار.. انما اضيفت اليهم قائمة طويلة تتضمن العديد من الاشياء منها النار والدفع والسكين والصاروخ والحربة والقنبلة وعود الكبريت والدبابة...

بل كرهت «لولو» كذلك صور الطائرات والسفن والطائرات لأن منها ما يطلق رصاصا او قنابل او دخانا مسما يقتل الحيوان.. والنبات.. والانسان.. وقد لوحظ ان تطلقها لكلمة الانسان في آخر القائمة كان نحوي كما من الامتعاض والتقزز واضحين...

وبمرور شهور تالية راحت تسيطر على القردة نزعات تأملية او شيء من هذا القبيل.. فتحرر من خلال وجهة نظر خاصة بها عن ملاحظات تعن لها.. عما يحيط بها من رؤى واحداث وموجودات...

«الطائر محطوظ.. عندما.. يفلت الحارس.. مدسه...

«الانسان.. يتعقب المخلوقات.. حتى في البحر.. حتى في السماء...

لماذا؟

«انتم تبكون.. تغيرون.. كل.. حولكم.. وطاعكم السيئة كما هي.. ثم تبكي بذقنها على طرف الثوب نصف

نداء "لولو" الاسرى

اليها وتأخذ فى الكلام مع نفسها فى حيرة وعدم اقناع ... « حراس خمسة ... مسدسات ... خمسة ... كلهم ... للقتل لعلب مريض ... ضعيف ... »

أما تعليق « لولو » القردة العوريلا ... حين تشاهد برامج المصارعة عبر شاشة التليفزيون فهو مقتضب لكنه لاذع ... « انسان يقتل ... يقتل ... يتعذب اخيه ... ويحقر نفسه ... »

حين دقق فى ثنايا ما يتلقى من شريط ذكرياته لينتبه له فى وضوح الحادثة المؤسفة التى تعرضت لها العوريلا « لولو » ورفيقتها « فيكى » ... والتى راحت ضحيتها الأخيرة ...

ان الطبيب الجراح صلاح الدين عبد ربه لن ينمحى من ذاكرته منظر القردين وقد تشبثت كل منها بالأخرى وانكمشا فى هلع وكأنهما التمسا من البشر ... وذلك حين انتب العراك الهياجى بين حارسين من حراس الدار ... وحين استل احد الحارسين مسدسه وأطلقه على زميله فأرداه طائر صوب القرد الى القاتل وكانت فيكى ... فسارعت بالقفز نحو حارسها الصريع فى ذعر للقائى عليه ... لكنها تلقت بدورها رصاصة طائشة كومنها الى جواره ...

فى نفس اللحظة وبسرعة خاطفة انقضت العوريلا لولو على الحارس القاتل من خلفه ... ودفعته بكلتا اليدين دفعة زلزلته وأطارت منه مسدسه ... وبدلا من ان تنتب لولو اصابعها فى عنق الحارس عجلت بالتقاط المسدس ... واخذت فيما يشبه الهستيريا تضرب به نتوءا صخريا صريات متلاحقة محمولة الى ان حطمته ...

ثم انهارت قارفصت على الأرض الى جانب رفيقتها فيكى ... وتحمدت وهى تحتضنها بعنف ...

ظلت « لولو » اياما تعاف الطعام ... ولا تكلم احدا ... وكان الحزن يغرق وجهها ويستقر عميقا فى انحاء عينيها واحجم كل من بالدار رغبتا فى الابتعاد وان راحوا يحثونها على الاكل ... ولدى الظهيرة ... بعد اسبوع من الحادثة ... اقتربت « لولو » من عالم النفس رضا مهاب وسألته ...

« اجوعان كان الحارس ... الذى قتل ... حارس ... آخر ... »

فلما ابدى العالم حيرته من طرحها السؤال ... بادرته بسؤال جديد ...

« ايا الون لك ... شجار ... وقع ... بين اثنين ... من اجل انثى ... »

وحدث العالم نفسه عما يدور بخلايا مخها النوهجة ... الغاضبة ... لابد وانها تلف لتصل الى امر بعيد ... بحوبا الوصول اليه مباشرة ...

– لا ادرى ان كان سبب الشجار بين الحارسين هو الجوع ام التنافس على مركز او انثى ... التحقيق سيظهر كل شىء المهم ما الذى دفعك للنطق بهذا الكلام ؟

كانت تراقب معلمها بانتباه شديد ... كما لو كانت تنشد التسلل الى داخل صدره ... لم تحمه على الفور ... على عادتها دارت حوله ببط ، وقد تدلت ذراعاها الطويلتان على جانبيها فى استكانة ... قوست ساقيها وتوقفت ... رفعت العوريلا الحميلة وجها حانيا ... راحت تتفرس فى عينى معلمها طويلا ... بينما فتحا منخارها تزفران بهدوء وكأنها تزن كلماتها قبل ان تطلق سراحها ...

« لأن ... أسد ... لا يقتل ... الا عند جوع ... او احد اتى ... »

واضافت بعد ان شبكت اصابع يديها معا وأراحت مؤخرتها على الأرض ...

« كل حيوانات ... لا تقتل ... الا للدفاع ... الا لسبب ... قوى قوى ... » على أن شجاعتها تحلت عنها فجأة فذاب هدوءها الظاهرى واحتدت نبرتها فى ضيق وعصبية ...

« انسان ... لماذا تقتل ... أسلحة كثيرة ... لماذا يقتل ؟؟ »

وانفق عالم النفس والطبيب الجراح على تجنب ذكر الأسلحة وادوات القتل والدمار امام القردة قدر الامكان ... وصرف انتباهها الى المعارف الأخرى فى شتى المجالات ...

لكن لولو الحميلة والناء تسليتها بتصفح صور بعض المجلات ذات مساء ... اذا بها تمسك غلافا لأحداها وتتسمر امام صورة ملونة بعرضه ... وتروح تتفرس فيما يشبه شجرة ضخمة قاتمة الساق تتوسط اغصاء صفراء وحمراء وبرتقالية منيرة الأشعاع ... ويومها اطالت التفرس فى الصورة الغريبة حتى استرعت التفات الموجودين حولها ...

سألها الطبيب صلاح الدين : ترى ما الذى يثير فضولك الى هذه الدرجة ؟

« الصورة ... غريبة ... »

– ارينى اياها ...

وعرف الطبيب حقيقة النظر المتصور بمجرد وقوع بصره عليه ... فى حين سألت « لولو » بجراءة ... « ما هذا ؟ »

لكنه اجاب فى اقتضاب : مالنا وهذه الشجرة ... وحاول ان يجذب انتباهها بعيدا ... انظرى يا لولو هذا قطيع يديع من اصناف الدراقيل تتبرزه هذه الصورة وهو يلهو ... انت تعرفين الدرقيل ... ان هذه السمكة البالغة الذكاء سوف تكون التالية بعدك فى تعلم لغتنا ...

لكن « لولو » لم تحد عن الصورة الأولى ... فوضعت اصبعها عليها وكررت ... ما هذا ؟ اضطر للاجابة :

انه الشجار ترى ...

« ما الشجار ... ترى ؟ »

احس الطبيب صلاح الدين بالارتباح ... كيف ينقل اليها ... هذه الحقيقة المرهقة المتوترة ... كيف يجزيها عقيلة الموضوع دون ان يجيفها ... ان الأمر يطول شرحه ... حس ... وركز بصره عليها ... بينما يفتح ذراعيه مصورا شيئا ضخما ...

– الأشجار الذرى ... اشجار مهول ... يسأوى انفجار عدد من القنابل يتم دفعة واحدة ...

« مهول ... »

– انه يتم فى الصحراء بعيدا عن الناس ...

« مهول ... مهول ... كيف ؟ »

– ان انفجارا فريدا واحدا ... مثل الذى تريينه فى الصورة ... قادر على ان يفنى مثلا مدينة متسعة ... بسوانها وشوارعها واشجارها وكل شىء فيها ... لكن هذا لا يحدث ... فوانين الدول تمنع ذلك ... وتتكمش لولو داخل فرائها ... « يفنى ... القرود ؟ »

– يفنى كافة الحيوانات الموجودة ... فى منطقة الانفجار ...

« والقرود ؟؟؟ »

– ... والقرود ...

وتستمر القردة ... « انفجار مهول ... ما سبه ؟ »

– قنبلة ...

« قنبلة ... مهولة ؟ »

– لا ادرى حجمها ولا شكلها ... لم ار ... صورا لها ...

« من يعدها ؟ »

لكن القردة تعيد وجهها الى الناحية الأخرى ... قبل ان تأتيها اجابة الطبيب ...

« انه الانسان ... »

وتدوى كلمة القردة العوريلا ...

« انه الانسان »

ويرتداد صداها علوا وارتحالا ... « انه الانسان »

ويلوح مع الطبيب صلاح الدين عبد ربه بن جوانب رأسه الضئيلة ...

« انه الانسان ... الانسان ... الانسان ... »

ويعيد التصفيق المتواصل الطبيب الجراح الى واقعه ...

يفتح عينيه على اتساعهما ... يحدق عبر المقصورة المعتمة فى اتجاه القردة « لولو » ... لقد كفت عن الكلام وقبعت الآن فى هدوء ... وعاد مرآها الى سابق العهد بين جنسها من قصور وتخلف وأعجمية ... شىء واحد جد عليها لم تلحظه غير عين الطبيب صلاح الدين القرنية ... لقد حل بها تعب واعياء لم يعهد لهما قبلا ...

وبذلك الطبيب مقعده ويقف ... الآن وجب عليه انهاء الحفل بالقاء كلمة الختام ... وهى كلمة تقليدية مقتضبة ظن الحاضرون انها ولابد حملت من الصافات متبرة ... لكنهم بأنحاء القاعة وجوانبها وقد حدرهم طول الجلوس وامتداد الحوار وجدوه بغتة يقول ...

– يطيب ان اعلن عليكم مفاجأة اخيرة ... فابتداء من اليوم سوف يكون هناك اتصال دائم للتخاطب والتفاهم بيننا نحن البشر وبين هذه المخلوقات الذكية ... العظيمة ... قردة العوريلا ...

لقد نسيت ان اقول لكم ان « لولو » انما تصغير عمره خمسة عشر شهرا ... اسمه « سكر » ... وابتداء من الأسبوع القادم كذلك سوف تتوفى « لولو » تعليم صغيرها « سكر » وقردين آخرين فى مثل عمره النطق بلغة البشر ... تحت اشرافنا المباشر ... ونحن نتوقع ابهر النتائج واسرعها من وراء هذه التجربة ...

تحت أعين المختصين والمشرفين وموظفى دار الأنطاق ابتدأت (لولو الحميلة) دروس تعليم وتدريب صغيرها وصحبه الآخرين فى المواعيد المحددة بالضبط ... وقد فهمت « لولو » فى اول درس لها ولمدة دقيقة كاملة بنغمات متقطعة لم تستاثر انتباه احد من المراقبين ... وحتى مع تكرار « لولو » لنفس المهمات فى بدايات دروسها التالية لأنطاق صغارها لغة البشر ... فقد ظلت هذه المهمات دون اى ريبة او تساؤل او اعتراض ...

ومهما تضخمت الشكوك واشتطت التصورات فهل كان يقدور مخلوق ان يسىء الظن بمثل هذه القردة الوديعة البريئة المظهر ... فبين انها تعى كل كلمة من كلماتها العجلى التى تحرص على لفظها بلغة العوريلا اول كل لقاء مع صغارها ...

لكنها الحقيقة التى طوتها صفحات الخرص والكتمان ...

لقد كانت « لولو » تعلن بالفعل نداءها الصارم ...

« تعلموا ... بكل ... جهدكم ... واصراركم ... نطق لغة ... هذه المخلوقات المغرورة ... حتى ينشأ ... منكم ... جيل ... تتلوه اجيال ... تتفوق عليهم ... فتمحو شرورهم ... وتنقذ العالم ... السالم ... من الطغيان والتدمير ... والفناء ... »